دعاة في البيوت

تأليف

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمـــالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـــادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الذين ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ الذي خلقكم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ الذي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾[النساء: ١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الذين ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾

يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أعمالكم وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ ورسوله فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فإن موضوع هذه الرسالة من الموضوعات المهمة، التي يجب أن يتحدث عنها الدعاة ، ويستمع إليها الناس من كافة الطبقات.

وذلك أن كل أسرة لابد أن يكون لها بيت يؤويها، وهذا البيت يحوي جميع شرائح المجتمع، ففيه الأبوان، والأولاد الصغار والكبار، وفيه الذكور والإناث، فهو عبارة عن مؤسسة متكاملة، وهذه المؤسسة هي التي تكون المجتمع الأكبر، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإننا نجد أن كثيرا من المجتمعات قد تفتقد بعض المؤسسات، فهناك مجتمعات لا يوجد فيها مدارس، ومجتمعات لا توجد فيها مؤسسات للعمل، ومجتمعات لا يوجد فيها؛ دوائر حكومية أو غير ذلك من أنواع المؤسسات العامة.

لكن منذ وجدت الدنيا وإلى اليوم، لم يوجد مجتمع ليس فيه البيوت التي تأوي إليها الأسر، بغض النظر عن كون هذا المجتمع مسلما أو كافرا، غنيا أو فقيرا، كبيرا أو صغيرا؟ فالأسرة تأوي إلى بيت، والبيت موجود في كل مجتمع، أليست مؤسسة بهذا

الانتشار، وبهذه السعة، وبهذا الشمول، جديرة بأن نخصص لها جزءا من وقتنا للاهتمام بها؟!

❑ **تشريعات تبين أهمية البيت:**

إن الإسلام منذ نزل القرآن الكريم أولى عناية خاصة بالبيت كمؤسسة. ولنأخذ على سبيل المثال، بعض التشريعات الإسلامية المتعلقة بالبيت، والتي تبين أهمية البيت في الإسلام:

- **تحريم دخول المترل إلا بإذن أهله:**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الذين ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النور: ٢٧].

ومعنى تستأنسوا: أي تستأذنوا : بأن تقول : "السلام عليكم أ أدخل؟ فإن أذن لك وإلا فارجع، فلا يجوز للإنسان أن يدخل بيت أحد إلا بعد الاستئذان.

بل الأمر أشد من ذلك، فحتى مجرد النظر حرمه الإسلام —كما في الصحيح –، فقد كان الرسول ﷺ في بيته، وكان معه مِدْرًى[1]

(1) مِدْرَى: عود يُضَم به الشعر، وقيل مشط.

يحك به رأسه، فاطلع رجل من جحر في باب رسول الله ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ قال:"**لو علمت أنك تنتظرني لطعنت به في عينيك، إنما جعل الإذن من قِبَل البصر**".[1]

بل بلغ من عناية الإسلام بهذا الأمر، أنه إذا نظر إنسان في بيت غيره، وتيقن من هذا فَفُقِأتْ عينه، فعينه هدر؛ لأنه قد أهدر كرامتها حين استخدمها فيما لا يجوز، وسمح لبصره أن يتسلل إلى بيوت الآخرين؛ لأن في بيوت الناس عورات محفوظة مصونة، ومن أجل ذلك وضع الإسلام هذا السياج.

- **قضية الجيران:**

ليس بخاف على أحد التشريعات الإسلامية الكثيرة في حقوق الجار، حتى قال الرسول ﷺ كما في الصحيح: "**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**"[2]، فكثرت

(1) أخرجه البخاري (٦٣٩٢)، ومسلم بنحوه (٤٠١٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (٥٥٥٦)، ومسلم (٤٧٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الوصاية بالجار، حتى ظن الرسول ﷺ أن الأمر سوف يؤول إلى أن يصبح الجار وارثا، فيرث مثلما يرث الأب والابن، ومثلما يرث الزوج، وترث الزوجة .

- **صلاة النافلة:**

ومن ذلك الحث على عمارة البيوت بصلاة، فقد كان الرسول ﷺ كان يأمر المسلمين، بأن يصلوا في بيوتهم، يعني صلاة النافلة:

ففي الصحيحين عن ابن عمر يقول النبي ﷺ: "**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورا**"(١)، وقال ﷺ في الحديث الآخر: " **أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**"(٢).

وفي أداء النوافل في البيوت فوائد وحكم منها : -

(1) أخرجه البخاري (٤١٤)، (١١١٤)، ومسلم بنحوه (١٢٩٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) أخرجه البخاري (٦٨٩)، ومسلم بنحوه (١٣٠١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

أن ذلك أبعد عن الرياء، وليراك أهل البيت فيقتدوا بك في عملك، وعبادتك، وصلاتك، وركوعك، وسجودك، وحتى تطرد الشياطين من هذه المنازل، بذكر الله تعالى فيها، وإقام الصلاة.

فإن هذه البيوت إذا أقيمت فيها الصلاة، أصبحت تشبه المساجد، لكن إذا تركت الصلاة فيها، فإنها تصبح كالقبور التي لا تجوز الصلاة فيها، فتشبه القبور من هذه الناحية.

فما بالك إذا تحولت البيوت إلى أماكن تستقبل صور للفساد، والرذيلة، والانحلال؟! وأصبح فيها نوافذ كثيرة، توصل إلى البيت رياح الفساد، والانحلال، إنها لن تكون قبوراً حينئذ؛ بل أشبه ما تكون بالمواخير، وأماكن الفساد، وبيوت الحرام.

الفصل الأول

الدعوة إلى الله في البيوت

لقد جعل الإسلام للبيوت هذه الكرامة، فأوجب التوجه إلى البيوت بالدعوة ، ولو بحثنا في إقناع الناس بالاهتمام ببيوتهم، وتوجيه الدعوة إليها، فإننا سنجد أمراً عجيباً.

وذلك أن أقوى وأغنى دولة لو أرادت أن تجند دعاة لأي مذهب، أو مبدأ، فمن الممكن أن تجند آلافاً من الدعاة على أكثر تقدير.

لكن ما الذي يحدث، لو استطعنا أن نقنع كل، مسلم متدين أن يقوم بدور الدعوة في مترله؟!

والجواب أننا نكون قد جندنا ملايين من الشباب، يقومون بمهمة الدعوة، وبدون أي مقابل مادي .

وثمة أمر أخر وهو أنك جندت دعاة يستطيعون أن يقتحموا البيوت، فالداعية قد يخاطب الناس في المسجد، أو المركز، أو النادي، لكن لا يستطيع أن يقتحم بيوت الناس ليخاطبهم وهم في قعر بيوتهم، ولو فرض جدلا أن الداعية استطاع أن يقتحم

بيوت الناس، فإنه لا يملك من وسائل التأثير والقوة، ما يملكه الشاب، أو تملكها الفتاة في بيتها.

فأنت أيها الأخ عنصر من عناصر تكوين المترل، هذا أبوك، وهذه أمك، وهذا أخوك، وهذه أختك، وأحيانا هذه زوجتك، وهذا طفلك وولدك، فأنت ترتبط معهم بوشائج قوية وروابط كبيرة، من ارتباط العائلة، والنشأة ولحمة النسب، تستطيع من خلالها أن تفعل بهذا البيت، ما لا يستطيع أن يفعله غيرك بحال من الأحوال. ولا تنتظر أن يأتي دعاة فيدخلوا بيتك، ليعلموا أسرتك نيابة عنك.

❑ التمكين للإسلام يبدأ من البيت:

إننا اليوم ولله الحمد، نجد إقبال الناس على الإسلام بشكل غريب منقطع النظير، سُرَّت له قلوب المؤمنين، وفرحت، وأشرقت، وأصبح حديثا على ألسنتهم كما قال الأول:

أعدْ ذكر نعمانٍ لنا إن ذكرَه
هو المِسكُ ما كررتَه يتضوعُ

فنحن كلما تحدثنا عن قضية الصحوة، والإقبال على

الإسلام، فإننا نفرح بذلك، حيث نصر الله تعالى دينه في هذا الزمان على أيدي أولئك الذين آمنوا بربهم، وزادهم الله هدى.

أما أعداء هذا الدين، فهم يتحدثون حديث الحسير، الذي فوجئ بما لم يكن في حسبانه، حتى أصبحت مراكز القوة الغربية، تصدر التقارير بعد التقارير عن خطر هذه الصحوة، وأهمية وكيفية مواجهتها.

وهذه الصحوة المباركة الكبيرة، تجد في نفوس الكثير من شبابها آمالا وتطلعات عريضة كبيرة، فأي شاب يقول: أطمح وأطمع في انتصار الإسلام، وأن نُسَر بتحكيم الإسلام في أنفسنا، ودمائنا، وأموالنا، وأعراضنا، وأن يقوم الإسلام من جديد كما قام أول مرة، وهذه لا شك آمال وطموحات وتطلعات عزيزة في نفس كل إنسان !

ولا تجد مسلماً إلا ويخطر في باله هذا الطموح، حتى كأن أحد الشعراء يتكلم على لسان الجميع وهو يرى الظلمات تتكاثف من حول المسلمين، حيث قال:

سنصدعُ هذا الليلَ يومًا ونلتقي
مع الفجر يمحو كلَّ داجٍ وغاسقِ
ونمضي على الأيام عزمًا مسددًا
ونبلغُ ما نرجوه رغمَ العوائـــقِ
ونصنعُ بالإسلامِ دنيا كريـــمةً
وننشرُ نورَ الله في كلِّ شـــارقِ

فهو يتكلم بلسان الجميع، لكن السؤال المهم هو: ما هي الخطوة الأولى لهذا الهدف الكبير؟ هدف بناء الإسلام، وإقامته، ونشره في الدنيا كلها.

وكما يقال: رحلة ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة! وما هي الخطوة الواحدة؟! إن الخطوة الواحدة بعد إيجاد الداعية هي: **البيت**.

❑ الصحابة الكرام بدأوا ببيوتهم:

من المؤسف أن نجد بعض الشباب، وبعض الفتيات يطمعون في تغيير الدنيا كل الدنيا؛ ثم نجدهم عاجزين عن تغيير بيوتهم! ومن عجز عن حمل هذه الأمانة القليلة، فكيف يستطيع أن يحمل الأمانة العظمى؟!

أما أصحاب محمد ﷺ، فكانت نفوسهم مفعمة بأحلام وتطلعات حول انتصار الإسلام، فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسلمان، وبلال، وعمار، وصهيب، كانوا في مكة يعانون التعذيب والإيذاء والسخرية، ومع هذا كانوا يتوقعون ذلك اليوم الذي ترتفع فيه كلمة "**لا إله إلا الله**"، ولذلك صبروا وصابروا، حتى رزقهم الله تعالى النصر، ومكن لهم في الأرض، لكنهم كانوا يعرفون أن انتصار الإسلام يمر من خلال بيوتهم.

ولذلك انظر في سيرة أبي بكر مثلاً، فقد كان أولاده ضمن قافلة الإسلام، وكانوا من المؤمنين بالرسول ﷺ، والمجاهدين في سبيل الله ، ولا يخفى دور أبنائه وبناته في قضية الهجرة.

وعمر كان من أكبر أولاده، وأكثرهم شهرة عبد الله بن عمر، الذي رشح للخلافة رضي الله عنه بعد عهد الخلفاء الراشدين.

وعلي بن أبي طالب: أولاده الحسن والحسين، ريحانة النبي ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة.

وكذا الزبير: من أولاده عبد الله بن الزبير، وأمثاله من الرجال الصالحين الصادقين، الذين تربوا على الإسلام، وضحوا في سبيله.

وهكذا بقية البيوت، فبيوتات الصحابة كان كل بيت فيها محضنا للتربية، وكل واحد من أصحاب الرسول ﷺ خرَّج لنا مجموعة من الشباب المؤمنين المجاهدين، ومن خلال هذه الأعداد التي تخرجت من البيوت، تكوَّن جيش الإسلام، وتحقق النصر، وجاء وعد الله تعالى بالتمكين.

الفصل الثاني

واجباتنا في البيوت

هناك ثلاثة واجبات أساسية نقف عندها :

❑ **الواجب الأول: القيام بمصالح أهل البيت:**

فينبغي أن يحرص الداعاة من الرجال والنساء على أن يقوموا بمصالح أهل البيت، المصالح والاحتياجات الدنيوية، وذلك من أجل تحقيق مكاسب عديدة في نفس الوقت.

فمثلا حين يوجد شاب صالح في البيت، لا يتصور أن يكون هذا الشاب إما مع مجموعة من زملائه ذاهبا، أو آيبا في رحلة، أو في مركز، أو في حلقة علم، أو في مدرسة، وإما أن يكون في عمله الخاص يقرأ في كتاب، أو يحفظ، أو يسمع شريطا، أو نائما، وليس له دور في البيت!

إذن من يشتري الحاجيات؟ من يذهب بالأهل إلى هنا أو هناك، من الأمور التي لا بد لهم منها؟ من يقوم بهذه الوليمة ؟ من يستقبل الضيوف، ومن يودعهم؟ من يستقبل فلان في المطار، أو يذهب به؟! هذا الشاب يقول: لا وقت عندي فأنا مشغول !

لقد تخلى هذا الشاب الصالح عن دوره، وبالتالي جاء دور غيره، جاء دور الشاب المقصر، فينافسه في أداء الواجبات وقضاء الاحتياجات، وبالتالي أصبح هذا الشاب هو القيم الحقيقي على البيت، وهو الشخصية المؤثرة المقبولة، فكلامه مؤثر، وأمره نافذ، ونهيه مطاع، لا يعصى له أمر ولا إشارة؛ لأن له تأثيرا في البيت!

أما الشاب الطيب فليس له وزن؛ إذ هو لا ينفعهم بشيء. وهذا واقع في كثير من البيوت .

وأحيانا يكون الشاب الصالح، قد ترك البيت ليس لأخ آخر؛ بل تركه للسائق والخادم، فالسائق يذهب بالبنات إلى المدرسة، ويذهب بهن إلى السوق، وقد يجلس معهن في السيارة، وفي السوق ساعات طويلة، ويصطحبهن إلى المدرسة ومنها، وإلى المطار ومنه، فيكون هذا الشاب قد ترك حاجيات البيت ومتطلباته، ليس لأخ آخر قد يكون مقصراً ضعيف الإلتزام، بل للخادم والسائق ونحوهما.

وهذا من الأخطاء التي يقع فيها بعض الشباب الأخيار.

- **التأثير في البيت يكون عن طريق خدمة أهله:**

والذي يجب على الشاب هو أن يصون أهل بيته عن كثرة الذهاب والإياب، بأن يقوم هو بقسط من هذا الواجب، كحاجة السوق مثلا ، فمن غير المعقول أن يمنع الشاب أهله، وأخواته من الذهاب إلى السوق ثم لا يقضي هو حاجتهم بحجة أنه مشغول . فالبيت ليس فندقاً تأوي إليه لتنام، وتأكل، وتشرب؛ ثم تصبح إمبراطورا تصدر الأوامر هنا وهناك: لا تخرجوا! لا تدخلوا! لا تذهبوا!، وتريد أن تطاع، في الوقت الذي لم تقدم أنت فيه البديل الصالح!

إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع، ومن ذلك أن تبذل من وقتك، وجهدك ما يحقق لأهل البيت متطلباقم، فتخصص جزءا من وقتك للذهاب بالأهل إلى بعض الحاجيات، و تقوم بنفسك بتلبية بعض المطالب التي يحتاجون إليها.

ونفس هذا الكلام نوجهه للأخوات الطيبات، فبعض الفتيات المتدينات، لا يقمن بما يُحتاج إليه من أعمال البيوت، و تقول الواحدة منهن: أنا مشغولة، أريد أن أقرأ القرآن، وأقرأ هذا الكتاب

وأحضر هذه المحاضرة وألخص ذاك الشريط.

ثم تسأل بعد ذلك: كيف أؤثر في البيت؟! ففيه كذا وفيه كذا ويأتي الشاب أيضاً بسلسلة من المنكرات الموجودة في البيت، ويتساءل: كيف أقضي عليها؟

إن القضاء على المنكرات، وإصلاح أوضاع البيوت يبدأ أولاً ببناء الشاب، والفتاة مكانة في المترل، عن طريق الخدمات التي تقدمها شخصيا لأهل المترل، لا تكن صفرا على الشمال، لا تعرف إلا في حالات معينة، بل أثبت وجودك وشخصيتك، من خلال القيام بالأعمال التي يحتاجون إليها .

- **الهروب من المترل .. صوره ومظاهره:**

بعض الشباب يعيشون حالة هروب من المترل؛ لأن هذا الشاب لما صحا، واستقام، وجد البيت مزدحماً بكثير من المنكرات وحسب أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، فحاول أن ينتزع نفسه من هذا المترل عن طريق **الجهاد في سبيل الله!**

ويظنّ أنه بذلك قد وجد المخرج الصحيح لوضعه غاضّاً النظر إلى حد التعامي عن كثير من الضوابط الشرعية التي لابد أن

يقف عندها طويلاً قبل أن يعرض نفسه للقتل ولذا صرح بعض الشباب بمعنى الهروب حين قالوا إنهم يريدون الانتحار، ولكن بطريقة شرعية، وهي الذهاب إلى جبهات الجهاد!!

وبعضهم قد يهرب بصورة أخرى: فينتقل ليدرس في بلد آخر، أو ينتقل ليسكن في بيت آخر، أو ما أشبه ذلك، بحيث يتضح أنهم يعيشون حالة هروب، ومما يدلنا على أنه فعلا مجرد هارب من البيت، ذهابهم بدون إذن أبويهم، بما في ذلك الذهاب للجهاد، وينسون الحديث الصحيح أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: "**أحيٌ والداك؟**" قال: نعم، قال: "**ففيهما فجاهد**"![1] والرجل الآخر كما في الحديث الصحيح أيضا: لما جاء للرسول ﷺ يستأذنه لكي يخرج للجهاد، قال له: "**أحيةٌ أمك؟**"، قال: نعم يا رسول الله، قال: " **ويحك الزم رجلها فثم الجنة**"[2]، فإذا كنا نريد الجنة، فمن أقرب الطرق إلى

(1) أخرجه البخاري (٢٧٨٢)، ومسلم (٤٦٢٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(2) أخرجه ابن ماجة (٢٧٧١) من حديث معاوية بن جاهمة السلمي رضي الله عنه .

الجنة أن نلزم قدم الأم.

قصة عجيبة:

من القصص العجيبة أنه كان في عهد عمر رضي الله عنه رجل يدعى كلاباً، وقد خرج إلى الشام مجاهداً، وكان في جيش يزيد بن أبي سفيان، فأتى أبوه إلى عمر فأنشده:

لمن شيخان قد نشدا كلاباً
كتاب الله لو قبل الكتاب
أناديه فيعرض في إباء
فلا وأبي كلاب ما أصابا
وإنك والتماس الأجر بعدي
كباغ الماء يلتمس السرابا
تركتَ أباك مرعشـــــةً يداه
وأمُّك ما تسيغ لها شـــــرابا
إذا غنتْ حمامةٌ بطن فــــجٍ
على بيضاتها ذكرا كلابـــا
أبراً بعد صيغة والدين

فلا وأبي كلاب ما أصابا

فقال عمر: "مم ذاك؟" قال: هاجر إلى الشام، وترك أبوين له شيخين كبيرين"، فبكى عمر وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يرحله بثقله إلى عمر، فقدم عليه فقال: "أنت كلاب؟" ثم أنشده البيتين، ثم قال: "ائت أبويك، فبرهما، وكن معهما حتى يموتا".(١)

إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، ولكن الأصل أن المشاركة فيه مرتبطة بأن يستأذن الإنسان والديه، فإن لم يأذنا له حرم عليه الخروج، إلا في حالة واحدة فقط، وهي عندما يكون الجهاد فرض عين:

إن الإنسان أحياناً يعجز عن المجاهدة القريبة، ومن عجز عن المجاهدة الموقع القريب، فمن باب أولى أنه يعجز عن المجاهدة في الموقع البعيد، ومن عجز أن يقوم بواجبه في المترل، فهو عن أن يقوم بواجبه على مستوى الأمة الإسلامية كلها أعجز.

إن الواجب الأول، أن يثبت الشاب لنفسه شخصية من

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠/ ٢٧٥، ٢٧٦).

خلال القيام باحتياجات الأهل، ويحرص على أن يبقى في المترل مهما كانت العقبات والظروف، ويجاهد فيه بقدر المستطاع.

❑ **الواجب الثاني: التربية والتوجيه:**

وهو ضروري أيضاً، فالأقربون أولى بالمعروف، ولاشك أن الخير من المعروف، والرسول ﷺ وُجِّه بقول الله عز وجل ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فجمعهم وقال: **"يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا"**.(١)

فالأقربون أحق، وأولى بأن توجه الدعوة إليهم، ولا يصح أن تدعو البعيد، وتدع بيتك نفسه مليئاً بالمنحرفين والمنحرفات، وألوان الفساد، وصوره، دون أن تكون بداية التوجيه هي مترلك،

(1) أخرجه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم بنحوه (٣٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولكن ابدأ بالبيت من خلال التوعية والتوجيه، والتربية، والإرشاد، وفي ذلك صور منها:

- **التعليم**:

اجعل حلقة للتعليم في المترل، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: "غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك"، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان فيما قال لهن:" **ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار**". فقالت امرأة: "واثنين؟" فقال: "**واثنين**"[(١)] وجاء في رواية أخرى أن امرأة قالت: "وواحد؟ قال: "**وواحد**"[(٢)].

والشاهد من الحديث أن الرسول ﷺ خصص للنساء يوما

(1) أخـــرجه البخاري (٩٩)، ومسلم بنحوه (٤٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٨٩) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه،و فيه:"فقالت أم أيمن: و واحد؟ فسكت و أمسك ثم قال: يا أم أيمن من دفن واحدا فصبر عليه و احتسب، وجبت له الجنة"

معلوما، وقد بوب البخاري على هذا الحديث: **باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟**، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: يُلاحَظ في الكلام الذي قاله الرسول ﷺ، أنه تكلم مع النساء، ومع أهل البيت بالأمور التي يحتاجونها. إذن لا بد أن نحرص على أن يكون التوجيه والتربية في البيت، فيما يحتاجه أهل المترل.

صور عملية مقترحة :

أولا: اجعل في البيت مكتبة صغيرة، تحتوي على كتب، ورسائل صغيرة للنساء، والفتيات، والأولاد، وقصص للأطفال، ومجلات مفيدة، وبعض الكتب التاريخية، وبعض كتب الوعظ والإرشاد، بحيث تكون مكتبة صغيرة في متناول أهل البيت، مما يهيئ لهم أسباب الخير.

ثانيا: بجوار هذه المكتبة، مكتبة أخرى صوتية فيها مجموعة من الأشرطة، لجميع المستويات من كبار ، وصغار ، كالأناشيد والقصص والخطب المؤثرة والمواعظ والمحاضرات، وأشياء تتعلق بالأحكام والعبادات، وأمور تخص المرأة، واجعل هناك برنامجا

للاستفادة من هذه المكتبة ومن تلك .

ثالثا: وفي نفس الوقت لابد من أمر ثالث، من الضروري أن نفعله جميعا وهو أن يقيم كل واحد منا في البيت درسا، ولو في الأسبوع مرة، جلسة منوعة للكبار، وللصغار، وللجميع، هذه الجلسة تحوي على حفظ القرآن، وحفظ الحديث، ومسابقة شعر، وأسئلة، وتدريب على بعض العبادات، وتنبيه على بعض الأخطاء، وترقيق للقلوب، بحيث أنك تستطيع أن تؤثر في أهل البيت وتعلمهم الضروريات.

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

القضية الثانية ضمن التوجيه والتربية: قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالكلمة والإصلاح والوعظ، و هذه بعض الأمثلة من سيرة رسول الله ﷺ:

المثال الأول:

في الصحيح: أنه ﷺ مر على امرأة وهي تبكي عند قبر، فقال لها: "**يا هذه، اتقي الله واصبري**"، قالت: "إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، و لم تعرفه"فقيل لها:إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تجد عنده بوابين، فقالت:"لم أعرفك"،فقال: "**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**" [1].

فأمرها بالمعروف أولا: بالصبر والتقوى، وثانيا: بأنه كان يجب عليها أن تصبر عند الصدمة الأولى.

إذن الرسول ﷺ كان يربي أصحابه على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بحيث إذا وجد أمرا مما ينكر نبه عليه من خلال الوعظ، والإرشاد، والتذكير بالله تعالى.

ليس الموقف الآن موقف القوة ،واستخدام السلطة، ولكنه موقف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتذكير بالله: "**يا**

(1) أخرجه البخاري (١٢٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

هذه، اتقي الله و اصبري"، إذن نحن مطالبون بأن نحيي قلوب أهل البيت، ونربطها بالخوف من الله تعالى، والطمع في رضوانه وجنته، وهذا أمر مبني على تحريك الإيمان في النفوس.

❑ **الواجب الثالث: المراقبة والمحاسبة:**

بعد ذلك تأتي الخطوة الثالثة، وهي قضية المراقبة والمحاسبة، مراقبة أهل البيت، ومحاسبتهم على الأخطاء.

ومن الأمثلة النبوية نذكر ما يلي:

ما ما أخرجه أبو داوود والنسائي: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ بصر بامرأة لا تظن أنه عرفها، فلما توسط حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لها: "**ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟**" قالت: "أتيت أهل هذا الميت، فترحمت إليهم، وعزيتهم بميتهم"، قال: "**لعلك بلغت معهم الكُدَى!**" قالت: "معاذ الله أن أكون بلغتها، وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر" فقال لها: "**لو بلغتها معهم، ما رأيت الجنة**

حتى يراها جد أبيك ".[(١)]

وجد أبيها كان كافرا وهو عبد المطلب، و الشاهد من الحديث قوله ﷺ:"**ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟**"

مثال ثان:

جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة رضى الله عنها، فلم يجد عليا في البيت، فقال: "**أين ابن عمك؟**" قالت: "كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يَقِل عندي". فقال رسول الله ﷺ لإنسان "انظر أين هو؟" فجاء فقال: "يا رسول الله هو في المسجد راقد". فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: "**قم أبا تراب، قم أبا تراب**"[(٢)].

فكان علي رضي الله عنه يفرح بهذا اللقب ويفخر به؛ لأن الذي دعاه به هو رسول الله ﷺ .

---

(1) أخــرجه النسائي (١٨٥٧)، وأبو داود بنحوه (٢٧١٦)، وأحمد بنحوه (٦٢٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما. والمراد بالكُدَى: المقابر.

(2) أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم (٤٤٢٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

مثال ثالث:

ما أخرجه مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا: بلى، قالت: "لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدا، وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويدا، فجعلت درعي في رأسي واختمرت، وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضــــرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: "**ما لك يا عائش حشيا**(١) **رابية**(٢)؟" قالت: قلت: "لا شيء"، قال: "**لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**". قالت: قلت: "يا رسول الله! بأبي أنت وأمي

(1) حشيا: سرعة التنفس من أثر الهرولة.

(2) رابية: مرتفعة الجسم أو البطن حال نومها.

فأخبرته"، قال: "**فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟**". قلت: "نعم"، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: "**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**". قالت: "مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم". قال: "**فإن جبريل أتاني حين رأيتِ، فناداني، فأخفاه منك فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابك، وظننت أن قد رقدتِ، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**"(١).

انظر مساءلة الرسول ﷺ لعائشة: مالكِ؟ أين كنتِ؟ ما الذي دفعكِ إلى الخروج؟ ثم يوجهها إلى أن ما خشيته لا يمكن أن يكون، ثم يكشف لها بعد خبر خروجه وسببه وما دعاه إلى فعل ما فعل.

ولعائشة رضي الله عنها أخبار عجيبة في هذا الباب.

المقصود من هذه القصص أن الرسول ﷺ كان يحاسب

(1) أخرجه مسلم (١٦١٩) من حديث عائشة رضي الله عنهما.

زوجاته، وبناته ويأمر الناس أن يحاسبوا من تحت أيديهم على كل شيء مما يستحق المحاسبة.

الفصل الثالث

مؤثرات على البيوت

تحيط بالبيت اليوم مؤثرات عديدة، وفي داخله وخارجه، تتطلب أن نلقي نظرة عليها، فمنها على سبيل المثال :

❑ **المدرسة :**

إن البيت لا ينفرد بتربية الفتاة، فهناك مؤسسة أخرى هي المدرسة، فمن التي تدرسها في المدرسة؟ وماذا تتلقى؟ وما هو تأثير المدرسة عليها؟

هذا أمر لا تستطيع أن تعرفه إلا أن تفتح عينيك، وتنظر بِمَ ترجع هذه الفتاة من المدرسة، هل ترجع بعلم صحيح، وأخلاق عالية، وخوف من الله، أم أنها تنقص يوما بعد يوم؟!

فمن غير المناسب أن يلقي الإنسان بفلذة كبده إلى أية مدرسة، ثم يقول: أنا وضعتها في أيد أمينة! إن عليك أن تتأكد أن هذه الأيدي أمينة فعلا قبل أن تطمئن إليها اطمئنانا كاملا، وحتى حين تطمئن إليها لا تتخلى عن دورك أنت، فدورك مكمل لدور المدرسة.

❑ **الصديقة :**

لهذه البنت مجموعة صديقات في المدرسة، وغيرها، وقد يحصل بينهن لقاءات، وروابط عميقة واتصالات دائمة، وقد يكنَّ فتيات طيبات، وهذا ولله الحمد كثير ولا غبار عليه، لكن الذي نحذر منه أن تكون هذه المجموعة مجتمعة على قيادة فتاة غير مستقيمة، فتجرهن إلى الهاوية!

وهناك وقائع يندى لها الجبين، ولا يتصورها إنسان، وهذه الوقائع خاصة بفتيات في المرحلة المتوسطة!

لأن هؤلاء الفتيات عندهن بساطة، وفيهن طيبة قلب، وسذاجة، لكن قد يوجد بينهن واحدة فيها شر وقوة شخصية، فتكون قائدة لهن فتجر هذه المجموعة من الفتيات إلى الهاوية.

والكلام نفسه يقال بالنسبة للشباب في مدارسهم، إذن الأصدقاء من المؤثرات القوية التي لابد أن يراقبها الوالد جيدا، فيعرف من الأصدقاء الذين يذهب معهم ولده؟ ومن الصديقات اللاتي ترتبط بهن ابنته؟

❑ **الهاتف:**

وهو من الخطورة بمكان، فأي بيت اليوم؛ بل أي غرفة تخلو من الهاتف؟!

إن عدداً ممن لا يخافون الله عز وجل، قد يستخدمون الهاتف بصورة سيئة، وليس سراً أن كل جريمة تقع في المجتمع، فالهاتف وسيط في أحد مراحلها، وقد يبدأ الأمر بالعبث، والتسلية، وقضاء وقت الفراغ، ولا يزال الأمر يتدرج من التسلية، وقضاء وقت الفراغ، إلى اللقاء، إلى ارتكاب الحرام، وكما قال الأول:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامُ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

سلسلة يجر بعضها بعضاً.

ولذلك فلابد من زرع الحصانة في النفوس، وتعميق النفرة من العبث السفيه، واستنفار اليقظه التامة في استخدامه حتى لا تعلق بأحابيل العابثين، وتنجر إلى مالا تحمد عقباه.

وإن من التفريط في الأمانة إضاعة هذه الرعية والتخلي عن هذه المسئولية، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته.

❑ السوق:

والأسواق ميادين مفتوحة تزدحم بصنوف من البشر من بائعين ومتسوقين وآخرين لهم مآرب أخرى(ذئاب تخنق ولا تأكل)، والفتاة بخاصة عرضة في السوق إلى أنواع من البغي والإستدراج ما لم تكن في رعاية وحماية.

فإذا تخلى الزوج عن زوجته، أو عن أخته أو الأب عن ابنته لتذهب كل واحدة منهن مع السائق وتقضي الساعات الطوال في تجوال بين الباعة والمتسوقين والمتسكعين تخترقها سهام النظر وتتناثر في مسامعها كلمات الإغواء، فأي خطر أسلمت له هذه المرأة، وإلى أي فتنة عرضت ، ومن رعى غنماً في أرض مسبعةٍ ونام عنها تولى رعيها الأسد.

الخاتمة

وملخص ما سبق أن البيت له أهمية كبرى ، ولو نجحنا في تجنيد الشباب ليكونوا دعاة في البيوت، لنجحنا في تجنيد ألوف مؤلفة يستطيعون أن يدخلوا إلى أعماق البيوت، ويؤثروا فيها من الشباب والفتيات.

ومن وسائل التغيير والإصلاح في المترل أمور:

أولا: أن يكون للشاب والفتاة شخصية قوية في البيت من خلال الخدمات، والإصلاحات، والمشاركات.

ثانيا: من خلال قنوات التوجيه، والتوعية، والإرشاد، والتعليم داخل البيوت.

ثالثا: من خلال الرقابة الصحيحة على المترل، وعلى من فيه؛ رقابة تعني الحفظ والصيانة، وليس الشك والإعنات والتضييق.

ونسأل الله عز وجل، أن تكون هذه الرسالة سبيلا إلى أن يقف كل شخص منا ليؤدي الدور المطلوب منه، فلا شك أن المقصود من وراء هذه الرسالة وأمثالها، هو أن نحققها عمليا، خاصة أن البيوت اليوم ليس بعيدا أن ينطبق عليها ما يقال: إن

كل بيت – اليوم – تدار فيه مؤامرة بشكل أو بآخر.

وكما قال الشاعر:

مؤامرةٌ تدورُ بكلِّ بيتٍ لتجعلَه ركامًا من ترابِ

فالمغني الذي يطل على بيتك، والراقصة، والمتحدث، والشريط، والكتاب، وديوان الشعر، والصورة، والمجلة؛ كلها وسائل تشترك في هذه المؤامرة التي تدار في بيوتنا جميعا إلا ما رحم الله.

نسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لأن يكونوا قائمين على بيوتهم، مصلحين فيها، محققين للأمانة، التي حملنا الله تبارك وتعالى إياها. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم، وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

***

الفهرس